

نحو علم الحضارة المقارن

للدكتور حامد طاهر

الحضارة مثل الكائن الحي

تبدأ وتنمو،

ثم تكبر وتنتشر،

وأخيرا تشيخ وتسقط،

ولما يبقى منها سوى بعض المعالم

أو الأطلال ..

ومما يثبتته التاريخ

حقيقة تتابع الحضارات

أى : عدم تواجد حضارتين فى زمن واحد

وذلك بخلاف الثقافات

التي يمكنها أن تتواجد بل وتتداخل مع بعضها

والمفارق الآخر بينهما :

أن الحضارة تكون غالبا عالمية

بينما تظل الثقافة محلية .

كذلك فإن الحضارات جميعا

تأخذ بعضها من بعض

ولما يعتبر هذا الأخذ سرقة أو اختصابا

بل إنه يتم بمنتهى الرضا والتسامح

والأمر هنا أشبه بإشعال شمعة من شمعة كبيرة

حتى تكبر ، وتصبح مثلها

وربما أعظم منها .

والملاحظ أن كل الحضارات السابقة

تنتسب إلى جنسية أصحابها

أو إلى المكان الذي ظهرت فيه

مثل الحضارة المصرية أو الصينية

أو الرومان ..

أما الحضارة الوحيدة التي تنتمي إلى دين

فهى الحضارة الإسلامية .

وهناك عوامل أصبحت معروفة

تقف وراء نهضة الحضارات

وتساعدها على مزيد من الانتشار والاستمرار

ومن أهمها على الإطلاق :

تطبيق مبدأ التسامح بين الأفراد ،

والتعايش بين المعتقدات .

وكلما فتحت الحضارة أبوابها

لإستقبال الوافدين إليها من الأجانب المؤهلين

فى مختلف المهن والحرف والآداب والفنون

وأحسنتم دمجهم في بيئتها ومجتمعاتها

قوى نشاطها ، وتنوعت عناصر تفوقها .

وبالتالي فإن انغلاق الحضارة على نفسها

والتمسك الزائف بتعصبها القومي أو المذهبي

هما اللذان يؤديان إلى ضمورها

وتساقط أوراق ازدهارها .

ومن أسوأ ما أنتجه الفكر الأمريكي المعاصر

فكرة (صدام الحضارات)

وعلى الرغم من أنها أصبحت سياسة خارجية

يتم تطبيقها بغشاة !

فإنها تشتمل على خطأين فادحين

الأول : أنه لا توجد حالياً أكثر من حضارة واحدة

هي الحضارة الغربية الحديثة

حتى يجرى التصادم بينها !

والمخطأ الآخر أنها فكرة عنصرية متطرفة

تهدف إلى جعل دولة واحدة (وليست حضارة)

تهيمن على العالم كله

لمجرد أنها تمتلك أكبر قوة عسكرية

ونحن نشاهد أن هذه القوة

قد أصبحت في أيدي بعض الدول الأخرى

بل لعلها في طريق الانتشار !

إن ما يسمى بـ (حوار الحضارات)

لنا طائل من ورائه

والأهم — فى رأى — أن نتجه

إلى إنشاء علم جديد يسمى :

(علم مقارنة الحضارات)

ندرس فيه كلا منها

محاولين المتوصل إلى جوهرها

وعوامل قيامها وسقوطها

ثم الدأهم : بيان مساهمتها فى مسيرة الإنسانية

ومن المؤكد أن هذا العمل سوف يطلعنا

على مجموعة من القيم العليا

الموجودة في كل الحضارات

بحيث تكون هادية لمن يرغب أو يريد

إقامة حضارة جديدة .

أما بالنسبة لما نشاهده اليوم

من اختلافات ثقافية وأحياناً مذاوشات

فهى ناتجة من تمسك كل شعب أو طائفة منه

بثقافته المحلية (الخاصة والمحدودة)

والمشكلة هنا ترجع إلى تقصيره الشديد

فى عدم رؤية الأماكن الأخرى

أو الشعوب الأخرى

مما يتسبب في ضيق الأفق

وتضخم الذات و يؤدي إلى التعصب..

وعلينا أن نتذكر جميعا

المبدأ الإنساني الرائع

الذي وضعه الله للبشر في قوله الحكيم :

(يا أيها الناس

إننا خلقناكم من ذكر وأنثى

وجعلناكم شعوبا وقبائل

لتعارفوا ..)
